نظرية التبادل الاجتماعي

فرضيات جورج هومانس

- « فلنفرض أن هناك رجلين يقومان بعمل مكتبي في أحد المكاتب . حسب قوانين المكتب يجب على
- كل منهما إنجاز عمله بمفرده و اذا احتاج إلى مساعدة عليه الرجوع إلى المشرف على المكتب . أحد
- هؤلاء الرجال ولنسميه الشخص ليس مهارا في عمله وسينجزه بصورة أسرع وأفضل إذا وجد مساعدة
- من وقت لأخر . بالرغم من قوانين المكتب فهو كاره في الرجوع إلى المشرف لأن الإفصاح عن
- عدم اقتداره يعوق فرصته في الترقي . لذلك فهو يطلب المساعدة من الرجل الآخر ولنسميه الآخر .
- الآخر أكثر خبرة بالعمل من الشخص وبإمكانه إنجاز عمله بسرعة واتقان مما يوفر له بعض الزمن
- وله أسبابه التي تجعله يفترض أن المشرف على المكتب لن يخرج على عادته ويبحث في كيفية
- فرض القوانين . الأخر يساعد الشخص . الشخص يشكر الآخر ويمدحه . الرجلان تبادلا المساعدة
- والشكر والاستحسان» .
- بناءاً على ذلك المثال فإن هومانس قد طور عدداً من الفرضيات التي شكلت أساس نظريته عن
- التبادل الاجتماعي .

- فرضية النجاح :
- "من كل الأفعال التي يتخذها الفرد , كلما كان فعلاً معيناً ذا عائد كلما أصبح في الإمكان تكرار ذلك الفعل" .
- لشرح هذه الفرضية , إذا رجعنا إلى نموذج هومانس عن الشخص والآخر والمكتب نجد أن هذه
- الفرضية تعني أن الشخص يسأل الآخر المساعدة والنصح إذا تحصل في الماضي على مساعدة
- مفيدة . وكلما تحصل الشخص على مساعدة مفيدة في الماضي كلما كرر طلب المساعدة ويكون
- الآخر على استعداد لتقديم المساعدة إذا تمت مكافأته بالشكر والاستحسان في المرات السابقة .
- وبصورة عامة فإن السلوك المصاحب لفرضية النجاح يتضمن ثلاث مراحل :
- أولاً : فعل الشخص , ثانياً نتيجة ذات عائد وأخيرا تكرار الفعل الأساسي أو على الأقل فعل مشابه
- في ظروف مشابهة .

- حدد هومانس عدداً من الأشياء فيما يخص فرضية النجاح :
- أولاً : بالرغم من أنه بصورة عامة صحيح أن تكرار المكافآت يؤدي إلى تكرار الأفعال لكن هذا لا
- يكون إلى ما لا نهاية – لأنه في نقطة ما فإن الأفراد لا يكون في إمكانهم التفاعل بذلك التكرار .
- ثانياً : كلما قل الزمن بين السلوك والحصول على العائد كلما تكرر السلوك وعلى العكس من ذلك
- كلما زاد الزمن بين السلوك والحصول على العائد كلما قلت إمكانية تكرارالسلوك .
- أخيرا يرى هومانس أن العائد غير المنتظم عادة ما يثير تكرار السلوك أكثر من العائد المنتظم .
- والعائد المنتظم يقود إلى الضجر والإشباع في حين أن العائد غير المنتظم كذلك الذي في
- المراهنات مثلاً يثير تكرار السلوك .

- 2- فرضية المثير :
- "إذا كان حدوث مثير أو حزمة من المثيرات في الماضي مناسبة لحصول شخص على عائد
- وتكررت هذه المثيرات في الحاضر فإنه غالباً ما يقوم الشخص بنفس الفعل أو فعل مشابه" .
- لشرح هذه الفرضية فلنأخذ نموذج المكتب السابق , إذا وجد الشخص والآخر في الماضي إن
- إعطاء المساعدة والحصول عليها ذو عائد فإنهم غالباً ما يكررون نفس الفعل في ظروف مشابهة
- في المستقبل . قدم هومانس نموذجاً آخر أكثر تحديداً وهو إذا رمى صائد السمك صنارته في جزء
- عميق ومظلم من مياه النهر واصطاد سمكة فإنه يكون ميالاً للصيد في المياه العميقة والمظلمة

- 3- فرضية القيمة :
- "كلما كانت نتيجة فعل الشخص ذات قيمة له فإنه غالباً ما يؤدي الفعل" . وفي نموذج المكتب , إذا
- كان العائد الذي يعطيه كل للآخر يعتبر ذا قيمة فغالباً ما يقوم الأفراد بأداء السلوك المرغوب
- والعكس صحيح. في هذه المرحلة أدخل هومانس مفهومي المكافأة والعقاب , المكافآت هي أفعال
- ذات قيمة إيجابية وكلما ازدادت المكافأة أو العائد كلما أثارت السلوك المرغوب فيه .
- يرى هومانس أن العقوبة وسيلة غير فعالة لتغيير سلوك الناس ويفضل عدم مكافأة السلوك غير
- المرغوب فيه على العقوبة لأنها تفقد أثرها في نهاية الأمر. العقوبة غالباً ما تكون وسيلة غير فعالة
- على حمل شخص ما لعمل شيء ما . المكافآت هي الأفضل لكن يجب أن تكون محدودة .
- أوضح هومانس أن نظريته ليست ببساطة نظرية للمنفعة لأن العائد يمكن أن يكون مادياً مثلاً أو
- معنوياً وهو مساعدة الآخرين .

- فرضية الحرمان والتشبع :
- "كلما تلقى شخص ما عائداً في الماضي القريب كلما قلت قيمة أي إضافة من ذلك العائد بالنسبة
- له" .
- في نموذج المكتب فإن الشخص والآخر يكافآن بعضهما كثيرا جد اً خلال عملية الأخذ والعطاء
- للدرجة التي يصبح عندها الأخذ والعطاء بدون قيمة بالنسبة للطرفين . الماضي القريب دائري هنا
- وغالباً ما لا يحدث التشبع إذا استمر العائد عبر فترة طويلة من الزمن .
- هنا أدخل هومانس مفهومين هامين : الخسارة والمكسب . الخسارة في أي سلوك هي العائد الذي
- فقده الشخص في حالة سلوكه سلوكاً مغايرا والمكسب في التبادل الاجتماعي ينظر إليه على أنه
- القدر الكبير من المكافآت التي كسبها الشخص في مقابل الخسائر التي تعرض لها . هذه المفاهيم
- قادت هومانس إلى تعديل فرضية الحرمان والتشبع كما يلي :
- "كلما زادت المكاسب التي يتلقاها الشخص نتيجة فعله فغالباً ما يقوم بتكرار الفعل" .
- -

- فرضية العدوان والاستحسان :
- فرضية (أ)
- "إذا لم يحصل فعل شخص ما على العائد المتوقع أو تلقى عقوبة غير متوقعة سيكون غاضباً
- وغالباً ما يسلك سلوكاً عدوانياً وتكون نتيجة هذا السلوك ذات قيمة بالنسبة له" .
- في نموذج المكتب إذا لم يتحصل الشخص على المساعدة المطلوبة ولم يتلق الأخر الإشادة
- المتوقعة فإن كليهما يغضب .

- فرضية (ب)
- " إذا حصل شخص ما على العائد المتوقع من فعله , خاصة إذا كان العائد أكبر من توقعاته , أو
- لم يتلق العقوبة المتوقعة على فعل ما يكون سعيداً وغالباً ما يقوم بتكرار ذلك السلوك وتكون نتيجته
- ذات قيمة بالنسبة له " .
- في نموذج المكتب , عندما يتحصل الشخص على المساعدة المتوقعة ويتحصل الأخر على الشكر
- المتوقع فإن كليهما يكون سعيداً وعلى استعداد لأخذ وتقديم للمساعدة . المساعدة والشكر يصبح ذا
- قيمة لكل منهما .
- ختاماً , إن نظرية هومانس يمكن تكثيفهما إلى وجهة نظر تعتبر الفاعل عقلانياً وباحثاً عن الفائدة.

نظرية الاختيار العقلاني

- تسترشد نظريات الاختيار العقلاني بالافتراض الذي يقول أن البشر عقلانيون ويبنون أفعالهم علي ما يرون انه أكثر الوسائل فعالية لتحقيق أهدافهم. في عالم نادر الموارد فان ذلك يعني الوزن المستمر لخيارات الوسائل في مقابل خيارات الغايات ثم الاختيار من بينها ومن هنا جاء المصطلح الاختيار العقلاني.

- هذا النوع من النظريات مرتبط في الغالب بعلم الاقتصاد ويمكن التعبير عن هذا المنظور بالملاحظة العادية " هناك ثمن لكل شيء ولكل شيء ثمنه". هذا لا يعني أن قضايا الاقتصاد التقليدية مثل الإنتاج والتوظيف وبيع البضائع هي الحقائق الوحيدة والمهمة لتفسير السلوك الاجتماعي. بالأحرى يقترح منظرو الاختيار العقلاني أن أفضل طريقة لفهم الكثير من سلوك الناس تجاه بعضهم البعض هي أن ننظر لأولئك الناس علي أنهم متخذي قرار عقلانيين في عالم يتميز بالندرة.

- بالإمكان عرض مثال لكيفية عمل هذا التوجه النظري عندما ندرس ارتفاع معدلات الطلاق في الولايات المتحدة الأمريكية في السنوات الأخيرة. اقترح الدارسون للموضوع عددا من المؤثرات الممكنة مثل الوفرة، مدفوعات الضمان الاجتماعي، التغير في القيم الأخلاقية والتغيرات القانونية التي جعلت الطلاق أكثر سهولة. علماء الاجتماع الذين يستخدمون منظور الاختيار العقلاني يبدؤون من الحقيقة المهمة أن كل حالات الطلاق تشتمل علي أفراد يتخذون خيارات حول هل يبقون متزوجين أم لا. وبعد ذلك يتساءل هؤلاء العلماء عن ما الذي يجعل الناس وبأعداد متزايدة عن ما كان سائدا في السابق يختارون الطلاق.

- أفضل النماذج النظرية لمدخل الاختيار العقلاني في علم الاجتماع هي تلك التي ارتبطت بنظرية التبادل الاجتماعي. منظرو التبادل الاجتماعي يرون أن التفاعل الاجتماعي تبادل لسلع ملموسة وغير ملموسة تبدأ من الغذاء والمسكن وتمتد إلي القبول الاجتماعي والتعاطف. ويختار الناس المشاركة أو عدم المشاركة في التبادل بعد أن يدرسوا تكلفة ومكافأة خيارات الأفعال ثم يختارون الأكثر جاذبية.
- الفكرة الأساسية في نظرية الاختيار العقلاني (Rational Choice Theory) هي أن أنماط السلوك في المجتمع تعكس الاختيارات التي يقوم بها الأفراد في سعيهم لزيادة المنفعة والفائدة وتقليص الخسائر والتكلفة. بمعني آخر يتخذ الناس قراراتهم حول أفعالهم بمقارنة تكلفة وفائدة أنواع مختلفة من خيارات الفعل. نتيجة لذلك تنمو أنماط السلوك داخل المجتمع نتيجة لتلك الاختيارات

- تهتم هذه النظرية بحقيقة أن الفاعلين يقومون بأفعالهم من اجل تحقيق أهداف تنسجم مع التسلسل الهرمي لخياراتهم. كما أن الفاعلين يسعون إلي تحقيق اكبر قدر من المنافع والفوائد. وعلي الرغم من أن نظرية الاختيار العقلاني بدأت بالتركيز علي مقاصد الفاعل لكنها تشير إلي نوعين من القيود علي فعل الفاعل: النوع الأول من القيود يتمثل في ندرة الموارد. الذين لهم وفرة في الموارد يستطيعون تحقيق أهدافهم بسهولة. أما الذين لهم موارد اقل أو من هم بدون موارد إطلاقا يكون تحقيق الأهداف بالنسبة لهم صعبا أن لم يكن مستحيلا. وعلي علاقة بندرة الموارد مسألة تكلفة الفرصة. ففي السعي من اجل تحقيق هدف معين قد ينظر الفاعلين إلي تكلفة إمكانية تفويت تحقيق الهدف الذي يليه في الترتيب من حيث الجاذبية.

- . النوع الثاني من القيود يتمثل في المؤسسات الاجتماعية. هذا النوع من القيود يستمر طيلة حياة الفرد ويتمثل في مختلف القوانين والتشريعات الاجتماعية. يعمل هذا النوع من القيود علي تضييق الخيارات المتاحة للفاعلين وبالتالي مردودات أفعالهم.
- إضافة إلي ما تقدم هنالك قضيتان تكتسبان أهمية خاصة في نظرية الاختيار العقلاني. الأولي تتعلق بآلية التجميع حيث أن مجموعة من الأفعال الفردية تتحد لتكون منتج اجتماعي. القضية الثانية هي أهمية المعلومات في مسالة اتخاذ الخيارات العقلانية. فقد أصبح من المسلم به أن كمية ونوعية المعلومات المتاحة علي درجة عالية من التغير وان هذا التغير يمارس تأثيرا عميقا علي خيارات الفاعلين.

- ويري Elster(1985) أن التفسير الاختياري العقلاني الكاف للفعل يكون بناءه كما يلي: يجب أن يوضح أن الفعل هو الوسيلة الوحيدة والأمثل لتحقيق رغبات الفاعل بافتراض المعتقدات الوحيدة والأمثل بالنسبة للدليل الوحيد الأمثل المتوفر له.

- وأضاف Elster(1996) أن الفعل يكون عقلانيا إذا استوفي ثلاثة شروط هي:
- 1/ أن يكون الفعل هو الوسيلة الأفضل لتحقيق رغبات الفاعل بافتراض اعتقاداته عن العلاقة بين الغاية والوسيلة والأمور الواقعية الأخرى.
- 2/ الاعتقادات نفسها يجب أن تكون الاعتقادات الأمثل بافتراض أن المعلومات المتوفرة للفاعل وهذه الاعتقادات يجب أن لا تشوه بالأخطاء الناتجة عن معالجة المعلومات أو تلك الناتجة عن التحيزات الدافعية

- 3/ كمية المعلومات أو بمعني أدق كمية الموارد التي أنفقت في الحصول علي المعلومات يجب أن تكون هي أيضا الأمثل بافتراض الاعتقاد المسبق للفاعل عن حسابات الربح والخسارة لعملية الحصول علي المعلومات وأهمية القرار بالنسبة له